ثورات القبائل العربية في مصر في عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م) دراسة في طبيعتها ونتائجها

م. د. نشوان محمد عبدالله
جامعة الموصل – كلية الآداب

الملخص

واجهت الدولة المملوكية في مصر العديد من الثورات الداخلية التي قامت بها القبائل العربية خلال عصر الدولة الجركسية ، وقد اختلفت الثورات من حيث ظروفها ودوافعها ضد السلطة المملوكية، فقد حاولت تلك القبائل ان تقيم في مناطقها نوع من السلطة المستقلة بعيداً عن الهيمنة المملوكية وهوا ما اعتبره المماليك خطراً على سلطنتهم مما تسبب في الصدام ما بين الطرفين والذي امتد الى مختلف جوانب الحياه في مصر التي اصابها تأثير ذلك الصراع سلباً فأثر على عامة الناس ومختلف الطبقات وفئات المجتمع ، كما انعكس ايضاً على فقدان الامن والامان في الطرق التجارية واثر على التجارة والتي انعكست في مجموعها على الدولة نهاية المطاف ، وقد تركزت تلك الثورات بصورة اساسيه في دولة المماليك الجراكسة ورغم كل الجهود التي بذلتها الدولة في سبيل التصدي لها واستخدام العنف والقسوة غير ان ذلك لم يفلح في ايقاف ثوراتهم المتعددة التي تركت العديد من المظاهر السلبية على المجتمع والحياة في مصر.

الكلمات المفتاحية: تمرد، حكم، مصر، أوضاع، زعامات.

Revolutions of Arab tribes in Egypt in the era of Circassian Mamluks (784-923 A.H\ 1382-1517 A.D) a study of their nature and results

Dr. Nashwan Mohammed Abdulla
University of Mosul- College of Arts

Abstract

The Mamluk state in Egypt faced many internal revolutions carried out by the Arab tribes in the era of the Circassian state. The revolutions differed in terms of their circumstances and motives against the kingship. These tribes tried to establish in their areas a kind of independent power away from the Mamluk domination, which the Mamluks considered a danger to the This caused a clash between the two parties, which extended to various aspects of life in Egypt, which was affected by the negative impact of that conflict on the general public and the various classes and classes of society, also reflected on the loss of security and safety in trade routes and the impact on trade, which was reflected in These revolutions were concentrated mainly in the Mamluk Jurassic state and despite all the efforts exerted by the state to address them and the use of violence and cruelty, but this did not succeed in resisting their multiple revolutions, which left many negative manifestations on society and life in Egypt.

Keywords: Rebellion, Rule, Egypt, Modes, Leaderships.

المقدمة

شهدت الدولة المملوكية في مصر العديد من الفتن والثورات الداخلية التي قامت بها القبائل العربية خلال عصر الدولة الجركسية التي حكمت ما بين سنة (٧٨٤ – ٩٢٣ هـ / ١٣٨٢ – ١٥١٧ م)، وقد اختلفت تلك الثورات في توقيتها وأسبابها وظروفها ودوافعها ويمكن الإشارة الى ان العامل الرئيس المحرك لها كانت الاوضاع السياسية وفكرة الحرية من المماليك الذين تولوا السلطة في مصر، والذين نظروا اليهم على انهم عبيد أجانب تم جمعهم من مختلف الاقاليم خارج الدولة العربية الإسلامية فكيف لهم ان يحكموا العرب وهم اسيادهم وهم من جلبهم وعلمهم لذا لم تتقبل هذه القبائل البدوية فكرة تولي هؤلاء المماليك الحكم منذ بداية تسلطنهم على البلاد ولتظهر بينهم حالة العداء والكراهية والمواجهة والرفض لحكمهم ، فقد حاولت تلك القبائل ان تقيم في مناطقها نوع من السلطة المستقلة بعيداً عن الهيمنة المملوكية وهوا ما عده المماليك خطراً على سلطنتهم مما تسبب في الصدام ما بين الطرفين والذي امتد الى مختلف جوانب الحياه في مصر التي اصابها تأثير ذلك الصراع سلباً فأثر على عامة الناس ومختلف الطبقات وفئات المجتمع ، كما انعكس ايضاً على فقدان الامن والامان في الطرق التجارية واثر على التجارة والتي انعكست في مجموعها على الدولة في نهاية المطاف ، وقد تركزت تلك الثورات بصوره اساسية في الدولة المملوكية الجركسية وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلتها الدولة في سبيل التصدي لها واستخدام العنف والقسوة غير ان ذلك لم يفلح في ايقاف ثوراتهم المتعددة التي تركت العديد من المظاهر السلبية على المجمع والحياة في مصر وهو ما سنتناوله من خلال هذا البحث الذي يهدف الى التعريف بتلك الثورات ونتائجها المترتبة من فقدان الامن والامان وتدهور الزراعة والتجارة ومختلف الجوانب الاقتصادية ، بل وصل الامر الى ان تكون سبباً في انهيار الدولة المملوكية.

اولاً: التعريف بالمماليك والدولة المملوكية الجركسية:

المماليك لغةً: جمع مملوك والمملوك العبد [١]، أما **اصطلاحاً**، فهم مجموعة من الرقيق الأبيض من الأتراك والجراكسة، الذين كان موطنهم الأصلي بلاد في حوض نهر (الفولغا) شمالي البحر الأسود، إذ تعيش قبائل مختلفة من الأتراك والجراكسة والروس وغيرهم، فكان التجار الرقيق يحصلون على هؤلاء المماليك عن طريق الأسر أو الخطف من أهلهم وفي بعض الحالات يبيع الأهل أبناءهم بسبب الفقر والجوع مقابل المال ويتم تربيتهم تربية إسلامية بعد اعتناقهم للإسلام[٢].

اما دولة المماليك الجركسية الثانية فقد امتد حكمها(٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)، قامت على أنقاض الدولة المملوكية الأولى البحرية، وقد عرف هؤلاء بالجركس أو الشركس والشراكسة، ويطلق عليهم المماليك (البرجية)، لأن السلطان الأشرف خليل بن قلاوون الذي حكم (٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م) جعلهم يسكنون في أبراج القلعة داخل القاهرة، ويعود بداية تأسيس فرقة المماليك الجركسية إلى السلطان المنصور قلاوون الذي حكم(٦٧٨-٦٨٩ هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م) حين عزم سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨١م) على تكوين فرقة جديدة من المماليك، كان عناصرها تعود إلى المنطقة الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين ولاسيما جورجيا، وكان عدد ملوكها ثلاث وعشرون سلطان[٣].

ثانياً: القبائل العربية في مصر والتقسيم الاجتماعي والطبقي في العهد المملوكي.

تداولت المصادر التاريخية في العهد المملوكي مصطلح العربان وقد قصد بهذا اللفظ في ذلك العهد الاشارة الى العرب بوجه عام ولكي يتم تمييزهم عن البدو الذين اعتادوا على الحياة التنقل والترحال [٤].

اما عن الوجود العربي والقبائل العربية في مصر فأن وجودها يعود إلى عصر ما قبل الإسلام، إذ هاجرت العديد من القبائل العربية واستقرت في ارض مصر وكان في اغلبهم من البدو الذين جذبتهم الارض الخصبة والزراعة ووفرة المياه فيها [٥] ثم كان من المسلم به بعد الفتح العربي الاسلامي لمصر سنة (٢١هـ/ ٦٤٢م) ان استقرت القبائل العربية في مصر وانتشرت في جميع اقاليمها المختلفة [٦].

وبمرور الوقت ترسخت ارتباطهم بأرض مصر التي اصبح جزءاً من حياتهم وحريتهم لذا عندما قامت الدولة المملوكية في مصر سنه (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) لم تتقبل القبائل العربية ذلك فكيف تخضع للمماليك العبيد وكيف للحر ان يخضع للعبد وعدوا انفسهم اصحاب الحق الشرعي

في ملك الارض لذا رفضوا الخضوع وبدأ الصراع الطويل بينهم منذ اول ايام الدولة المملوكية واستمر ذلك حتى نهاية الدولة المملوكية ما بين صد ورد وكر وفر بينهم.

اما عن التقسيم الاجتماعي والطبقي في مصر في العهد المملوكي فقد انقسم المجتمع الى عدة طبقات اجتماعية كان في مقدمة تلك الطبقات طبقة المماليك وهم الطبقة العليا في البلد وهم اصحاب السلطة وبيدهم السلاح وتسيير كافة امور البلاد [٧].

كذلك هناك طبقة العامة التي ضمت عامة الناس ومنهم القبائل العربية التي كانت منتشرة في مناطق مختلفة من ارض مصر منها صعيد مصر والشرقية والبحيرة والغربية والوجهين البحري والقبلي، وغيرها من المناطق الاخرى وكذلك ايضا طبقه التجار والميسورين من اهل المال وكذلك طبقة المعدومين من الناس [٨] وهذه الطبقات التي وجدت في مصر وجدت بينها العديد من الفوارق فهي تختلف في طريقة العيش والمظهر والرفاه الاقتصادي الذي تعيش فيه ما بين معدم يكافح لأجل ايجاد قوته وبين مكتنز للمال.

اما عن العرب والقبائل العربية فقد قسم العرب في مصر الى قسم مستقر في المدن وقسم اهل زراعة وقسماً لا يعرف الاستقرار وهو في حالة الترحال دائم بحثاً عن الكلأ والماء وقد تميزت قبائل مصر بالشجاعة وعرف عنهم امتلاكهم الخيل والجمال وكانت هذه القبائل تمتلك سلطات على عرب القبائل ولها أمارة مستقلة يرأسها شيخ للعرب وحكمها في الاغلب وراثي يعمل شيخ العرب على ادارة شؤونها وكان الشيخ هوا الحاكم وسلطته مطلقة في القبيلة يعينه في ادارة القبيلة عدد من كبار رجال هذه القبائل [٩].

اما ابرز ما وجد من القبائل في مصر فقد كان في الوجه القبلي قبيلة هوارة التي كان لها دور كبير في قياده هذه الثورات وحركات العصيان ضد الدولة المملوكية، واذا ما تتبعنا وجود هذه القبيلة في مصر فأنه يعود الى ارض تونس حيث رحلت منها الى ارض الصعيد واستقرت بها ومدت سلطانها على كل الاراضي في الصعيد من المنيا الى اسوان وقد تزعم هذه هي القبيلة اولاد شيخ العرب عمر الهواري[١٠].

وقد اشار القلقشندي الى ما وصلت اليه هذه القبيلة من امتداد وتوسع فيذكر ان وجودها امتد من عمل البحيرة الى الوجه القبلي ونزلت به وانتشرت في ارجائه انتشار الجراد وبسطت يدها من الأعمال البهنساوية إلى منتهاه حيث اسوان وما والاها واذعن لهم سائر العربان بالوجه القبلي وانحازوا اليهم ، وكانت امارة القبيلة في بيتين بيت اولاد عمر الهواري واخوته ومنازلهم في جرجا والبيت الثاني هم اولاد غريب" هذه جميعاً في صعيد مصر [١١].

ثالثاً: موقف القبائل العربية من ظهور الدولة المملوكية وأثره في اعلان الثورات ضدها.

منذ اعلان الدولة المملوكية نصبت القبائل العربية العداء لهذه الدولة وكما ذكرنا من قبل واعلنت عن رفضها وعدم الخضوع لسلطانهم وبدأت حالة من العدائية والعصيان تظهر ضدها وكان ذلك منذ تولي أيبك التركماني[١٢] للسلطنة، إذ اعلن عن قيام الثورة ضده في صعيد مصر سنه (٦٥١هـ/١٢٥٣م) ثم توسعت لتشمل جميع الوجه البحري [١٣]، وقد انظمت الى هذه الثورة العديد من القبائل العربية منها قبائل بنو هلال وقبيلة بلي وجهينة وقريش ولواته وبنو كلاب ومزينة وبني دراج وثعلبة وجذام وغيرها[١٤] واتفقت تلك القبائل على ازاحة المماليك من السلطة وقد تولي الشريف حصن الدين ثعلبة، قيادة تلك الثورة، الذي عمل على مكاتبة الملك الناصر الايوبي [١٥] صاحب دمشق، وحثه على القدوم الى مصر من اجل مساعدته على تولي الحكم بدلاً من المعز ايبك غير ان تلك المحاولة فشلت بسبب الصلح الذي حدث بين ناصر الأيوبي والمعز أيبك[١٦].

وادرك المعز آيبك خطر تلك الثورة لذا امر بتجريد قوة عسكرية كبيرة لإخمادها قبل ان يستفحل امرها وتتوجه نحو مركز الحكم في القاهرة وفعلاً توجهت حمله عسكرية كبيره سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م) للقضاء على تلك الثورة التي قادها حصن الدين بن ثعلب فتمكنت من هزيمة قوة تلك القبائل وعملت على استباحة اراضيهم ومناطقهم وقتلت اعداد كبيرة منهم وغنمت اموالهم وصادرت ممتلكاتهم فما كان الا ان يعود الهدوء الى المنطقة [١٧].

وقد انعكس فشل تلك الثورة والقسوة التي استخدمها المماليك ضد القبائل العربية اثناء اخماد الثورة ان زاد من الجفوة والحقد بين العرب والمماليك مما ترتب عليه صراع طويل فيما بينهم تبلور في ازدياد في حالات التمرد والعصيان ضد السلطة المملوكية وهذا ما اثبتته الاحداث ففي سنه (٦٦٠هـ/١٢٦١م) خرجت عدد من القبائل بحركة عصيان ضد السلطان الظاهر بيبرس[١٨] وكانت تلك الثورة بقيادة حصن الدين ثعلبة ايضاً، وكانت ثورة كبيرة في ارض الصعيد، فما كان من الظاهر بيبرس الا ان يستخدم المكر والخديعة من اجل القضاء على حصن الدين ثعلبة حيث اعلن الظاهر بيبرس انه سوف يمنحه حكم مدينة الإسكندرية على ان ينهي حركة العصيان والتمرد فوافق حصن الدين ثعلبة على ذلك وأعلن انهاء التمرد وسافر الى مدينة الاسكندرية ليتولى حكمها وفق الاتفاق فما ان وصل الى الإسكندرية حتى تم القبض عليه وشنقه وعلقه على باب المدينة [١٩].

تركت تلك الواقعة عظيم الاثر على تلك القبائل الذين وجدوا فيها خيانة ونكران وغدر بهم من قبل السلطان الظاهر لذا خرجوا بثورة كبيرة ضد الظاهر بيبرس كانت اكبر من الثورة السابقة

مما دفع الظاهر بيبرس الى ارسال قوة عسكرية كبيره تمكنت هذه القوة بعد جهد جهيد من هزيمة القبائل المتواجدة وقتلت وسلبت ما تم العثور عليهم في ديارهم، كما عمل الظاهر بيبرس من اجل امتصاص غضبهم وكسب ودهم الى التقرب لبعض القبائل بالمال والخلع والهدايا والاعتراف بهم كمشايخ تتولى ادارة مناطق سكناهم وابرز تلك القبائل التي توافقت مصالحها مع الظاهر بيبرس هي قبائل العابد وجرم وثعلبة فهدأت بذلك زخم الثورات في عهده بعد ان شتت البعض من مشايخهم الرافضين لسلطانه وقرب البعض بالمال والعطايا فاستقر صعيد مصر والوجه البحري[٢٠].

وعلى الرغم من تلك الهزائم التي منيت بها القبائل العربية واستخدام القوه والبطش من قبل المماليك لردعهم الا ان ذلك لم يثنيها عن مواصلة العداء والرفض للسلطة المملوكية وتطلعها دوماً لأقامت السلطة العربية والحكم دون المماليك ورغم صعوبة تحقيق ذلك ولا سيما بعد انتصار المماليك في معركه عين جالوت (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) وهزيمتهم للمغول، وكذلك احياء الخلافة العباسية في مصر سنه (٦٥٩هـ/١٢٦٠م) من قبل الظاهر بيبرس الذي وجد فيها ما يحقق مصالحه ويمده بغطاء شرعي يزيل عنه وعن المماليك اسباب التمرد والثورات بالتبعية الأسمية للخلافة امام المسلمين ، رغم كل ذلك لم تتوقف حركات العصيان والثورات ضد الدولة المملوكية من قبل القبائل العربية [٢١] فصعيد مصر لم يهدأ واستمرت حركات العصيان ضد الدولة المملوكية في عهد السلطان المنصور قلاوون [٢٢] الذي حكم طويلاً [٢٣] اذا انطلقت في سنه(٧٠١هـ/١٣٠١م) انطلقت ثورة كبيرة ضده مما تسبب في قطع الطرق التجارية والمواصلات وكانت مدينة اسيوط والمنفلوطية مركز تلك الثورة وقد تزعمت تلك الثورة قبيلة جهينة [٢٤].

وكان هدفها السيطرة على المنطقة وحكمها بعيدا عن السلطة المملوكية غير ان ذلك لم يتحقق بسبب قوة الحملات العسكرية التي ارسلتها السلطة المركزية واستخدام القسوة والقتل والتدمير لمناطقهم مما عجل في اخمادها، إذ عمد المماليك الى قطع الطريق الواصل اليهم ومنع كل اشكال التمويل ان يمر لمناطقهم وعزلهم بصورة كاملة عن طريق منع سفر اي شخص الى تلك المنطقة براً وبحراً فكان حصار كبير عليهم ، مع وضع خطة عسكرية محكمة تمثلت بتقسيم الحملة العسكرية الى اربعة اقسام قسم توجه براً والقسم الثاني توجه بحراً في حركة متزامنة وتوقيت واحدة فكانوا بمثابه كماشة كبيرة حاصرت القبائل المنتفضة وتمكن من مفاجأتهم فبطشت بهم وقتلت عدد كبير منهم وسلبت اموالهم والحقت هزيمة كبيرة بهم [٢٥].

وبسبب تلك الحملة القوية التي قام بها المماليك على بلاد الصعيد واستخدام القسوة الكبيرة ضد القبائل المتواجدة خلت الصعيد من الرجال وهجرها الكثير من سكانها وهذا ما اشار اليه

المقريزي عندما وصف ما حل بالبلاد عقب تلك الحملة العسكرية فقال:" خلت البلاد بحيث كان الرجل يمشي فلا يجد في طريقه احدا وينزل بالقرية فلا يرى الا النساء و الصبيان الصغار"[٢٦].

وهذا ما يدل على مدى ما تعرضت المنطقة الى قتل وتخريب من قبل الحملة المملوكية بحيث لم يبقَ بها الا اعداد قليلة من الرجال وعدمه الحياه بها الا من بقى من النساء والاطفال فقط وبسبب تلك الحملة القوية فقد استقرت اوضاع تلك المنطقة لسنوات ولم تخرج منها ثورة ذات طابع سياسي رافض لحكم المماليك ليتم التحول الى حركات و ثورات ذات طابع اقتصادي بعدما كانت لها طابع سياسي رافض لحكمهم.

بعد كل المحاولات التي قامت بها القبائل العربية من اجل التخلص من هيمنه وسيطرة المماليك الا انها لم تفلح في تحقيق ذلك المنجز ويعود ذلك الى اسباب عدة في مقدمتها الأساليب المستخدمة من قبل المماليك في مواجهة خطر تلك الحركات والثورات والتي اتصفت بالقوة والخشونة في محاربة القبائل، كما ان سياسة التقرب من بعض المشايخ واعطاء الهبات والخلع لهم قسم موقفهم وشتت وحدتهم وفرقهم، وغير لك من الاسباب كما ذكرنا سابقاً.

على الرغم من ذلك ظهرت معارضة ثانية وان اختلفت في اسبابها عن الثورات الاولى التي كانت لها دوافع سياسية الا انها شكلت عبئاً كبيراً على الدولة المملوكية وتمثل ذلك في المعارضة الاقتصادية ان صحت التسمية تلك المعارضة التي بسببها لم يستقر الوجه القبلي والبحري والصعيد في مصر، وهذا النوع من المعارضة اظهرت فيه القبائل الامتعاض والرفض للسياسات الاقتصادية التي قامت بها السلطة المملوكية وقد تمثلت بمقدار الضرائب والرسوم والمكوس التي كان يتم فرضها على تلك القبائل ، يضاف اليها الممارسات والأساليب الغير حميدة في جبايتها وهذا ما ولد عند تلك القبائل حالة الرفض وعدم الموافقة على تلك السياسة المتبعة من قبل المماليك ودفهم للخروج بالثورات نتيجة تلك الممارسات .

ونتيجة لذلك خرجت العديد من القبائل بثورة ضد تلك السياسة المتبعة وهذا التعسف في جباية الاموال ففي سنة(٧١٣هـ/١٣١٣م) ثارت ارض الصعيد ضد السلطة المملوكية وقد تزعم تلك الثورة شيخ العرب مقداد بن شماس، إذ عمل على قطع طرق التجارة والتعرض للتجار كوسيلة للضغط على الدولة المملوكية ورفض دفع الخراج مما دفع السلطان الناصر محمد بن قلاوون [٢٧] تجريد حملة عسكرية ضدهم تمكنت هذه الحملة من انهاء تلك الثورة [٢٨] وفي سنه (٧٣١هـ/١٣٣٠م) اندلعت الثورة مرة أخرى وكان سببها جباية الاموال ورفض الخراج المقرر ايضاً[٢٩].

وفي سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) انتفضت القبائل العربية في الصعيد والفيوم وقطعوا الطرق ورفضوا دفع الخراج، مستغلين الصراع الذي حدث بين المماليك على السلطة بعد مقتل المظفر حاجي سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٧م) وتولي اخيه الحسن بن محمد بن قلاوون مقاليد السلطة الذي واجه تلك الانتفاضة بعزم وقوة حيث اخرج تجريدة عسكرية انهت تلك الانتفاضة [٣٠].

في سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) حدثت ثورة كبيرة في صعيد مصر تزعمها الشيخ محمد ابن واصل الاحدب شيخ قبيلة عرك ، وكان سبب هذه الثورة مساندة المماليك لبني هلال ضد شيخ العرب محمد بن واصل، وقد تمكن الشيخ محمد بن واصل الاحدب من الانتصار على جموع المماليك ومن ساندهم وهزمهم هزيمة كبيرة دخل على اثرها الى مدينة اسيوط فعمل على نهبها والاستيلاء على اموال وممتلكات المماليك فيها وقطع الطريق الواصل الى الصعيد، ولم تتمكن السلطات المملوكية التصدي لها، فاستمرت لمدة طويلة امتدت الى سنة (٧٥٢هـ/١٣٥٠م) لم يتمكن خلالها المماليك من التصدي لها او العمل على القضاء عليها [٣١].

لذا وامام خطر تلك الثورة استجمع المماليك قوتهم وجهزوا حملة عسكرية كبيرة ضد شيخ العرب محمد بن واصل الاحدب سنة (٧٥٢هـ/١٣٥١م) ، تمكنت من هزيمة قوة هذا الشيخ العسكرية والحقت الهزيمة بهم الا انها لم تكن حاسمة، إذ تمكن شيخ العرب محمد بن واصل من جمع اتباعه واقنع بعض القبائل بالثورة معه ولقب نفسه بالأمير [٣٢].

وزاد في مهاجمة المصالح المملوكية مستقلاً المناصرة التي حصل عليها من قبائل منفلوط ومراغة لتستمر ثورته الى سنة (٧٥٤هـ/١٣٥٣م)، إذ جرد المماليك قوة عسكرية كبيرة اتجهت الى معاقل تلك القبائل في البحيرة والشرقية والوجه القبلي والبحري وبلاد الصعيد فكانت نكسة كبيرة على القبائل العربية المتواجدة هناك [٣٣].

ونتيجة لتلك الخسائر الكبيرة التي مني بها محمد بن واصل الاحدب اضطر الى طلب الصلح من السلطان الصالح بن محمد بن قلاوون وطلب العفو والامان منه وانه سوف يلزم البلاد جميعا للسلطان [٣٤] فوافق السلطان على ذلك واعاده الى موطنه مع القبائل ثم قدم الاحدب الى القاهرة فاستقبله السلطان وطيب خاطره وصالحه على ذلك [٣٥].

غير ان ذلك لا يعني توقف الثورات فسرعان ما ثارت قبائل منفلوط ومراغه سنه(٧٥٤هـ/١٣٥٣م) واخرجت السلطة المملوكية تجريدة كبيرة واجهتهم في الجيزة والشرقية والوجه القبلي والوجه البحري وبلاد الصعيد عامه [٣٦].

رابعاً: ثورات القبائل العربية في صعيد مصر ضد الدولة الجركسية .

شهد العهد المملوكي الثاني العديد من الثورات التي قامت بها القبائل العربية فنجد في هذا العهد ازدياد حركات العصيان والتمرد اكثر مما كان في العهد السابق رغم مظاهر القسوة والعنف المستخدمة من قبل السلطات المملوكية ضدها التي لم تمنع خروج هذه القبائل بالعديد من الثورات ففي سنة (٧٩١هـ/١٣٨٩م) خرجت عدة قبائل في الصعيد المصري ضد السلطة المملوكية كان من بينهم بني هوارة و وبني عرك ، وشاركهم فيها عدد من الامراء المماليك الخارجين عن السلطة، فقد ذكرت المصادر التاريخية ان عدد من الامراء المماليك كان عددهم يقارب الثلاثين اميراً مضاف اليهم ما يتبعهم من الجنود شاركوا تلك القبائل في حركة عصيانهم وتمردهم ضد السلطة المملوكية الذين حاولوا من خلال ذلك التحالف ازاحة نظام الحكم القائم وتولى السلطة، وقد تزعم هذه الحركة وتلك الجموع الامير مبارك شاه نائب الوجه القبلي في مصر وتذكر المصادر ان الامير مبارك شاه تمكن من جمع العرب من قبائل هوارة وعرك وتمكن من الاستيلاء على الصعيد وهزم الحملات التي ارسلتها السلطة المركزية، إذ تمكن من الحاق الهزيمة بحملتين كبيرتين ارسلتها لضربها تجمعه وعلى الرغم من النصر الا ان الحملة الثانية بعد هزيمتها تحقق لها نجاح غير متوقع عندما استطاعت اسر الامير مبارك شاه حيث تم ارساله سجيناً الى الأمير منطاش [٣٧] الذي قتله فكان لذلك وقع كبير في انهاء ذلك التحالف وزوال هذا الخطر [٣٨].

لم تستقر الاحوال كثيراً بعد تلك الاحداث فسرعان ما ظهرة حركة ثانية مناوئة للسلطة المملوكية ففي سنة (٧٩٦هـ/١٣٩٤م) حدثت ثورة كبيرة قام بها عرب بني عيسى من الجعافرة وفي هذه الحركة اتفقت قبيلة بني عيسى مع الشريف محمود العنابي على الخروج على السلطان برقوق وانتهاز فرصه خروجه من القاهرة، حيث جرى الاتفاق معه على الدخول اليها والاستيلاء على الحكم بعد الاتفاق مع الامير شهاب الدين بن قيمز، إذ رتبت الأمور على ان يتولى الامير شهاب الدين بن قيمز الحكم والسلطان وان يكون الشريف محمود العنابي الخليفة، فتم الاتفاق على ذلك، كما طلب شهاب الدين بن قيمز من الامير الشريف العنابي ان يشجع قبيلة بني عيسى بان تخرج في البحيرة والصعيد ضد السلطة المملوكية وهذا ما يمكن من اشغال الامراء في السلطة في تلك المنطقة عن نجد القاهرة عندما يدخل اليها مع الامير شهاب الدين بن قيمز بسبب انشغل هؤلاء الامراء بما لديهم من مشاكل فلا يتمكنون من نجدة السلطة في القاهرة [٣٩].

غير ان الذي حدث ان تفاصيل تلك الخطة تم كشفها من قبل السلطان برقوق بعد وشاية من مقربين من الامير شهاب الدين ابن قيمز بتلك المؤامرة لذا اسرع الى انهائها قبل استفحال

امرها فعمل على القاء القبض على الشريف العنابي وكبار عرب بني عيسى منهم شيخ العرب موسى بن محمد بن عيسى و عمه مهنا بن عيسى و امر بقتلهم وعلى الرغم من فشل المخطط الا أن مقتل هؤلاء المشايخ الكبار من قبيلة بني عيسى تسبب في قيام ثورة كبيرة في مدينة القليوبية، وكانت من القوه بحيث لم يستطيع والي المدينة من التغلب على هذه الحركة وأضطر الى طلب النجدة من القاهرة حتى يتمكن من انهاء الثورة [٤٠].

وفي سنة (٨٢١هـ/ ١٣٩٩م) ثار العرب في كثيراً من مناطق الصعيد والوجه القبلي وغيرها مما دفع السلطان المؤيد شيخ ان يرسل عده حملات عسكرية لتأديبها وفي مقدمتها قبيلة هوارة بالصعيد، إذ عملت الحملة العسكرية على النهب والسلب والقتل ، ورغم كل تلك القسوة لم تحقق النتائج المرجوة في نشر الهدوء في الصعيد فما ان تخرج العساكر حتى تعود الثورة مرة أخرى على السلطة [٤١].

وفي سنة (٨٢٥هـ/١٤٢١م) اجتمعت قبائل بني لهانة مع قبائل هوارة واعلنوا العصيان ضد السلطة المملوكية بثورة كبيره في بلاد الصعيد فقطعوا الطرق ونهبوا المحاصيل الزراعية وشنوا الغارات العديدة على املاك المتنفذين من المماليك وقد كانت الثورة في موسم وصف بقلة المحصول وانتشار الفقر [٤٢] وربما كان سبب تلك الثورة ذلك الفقر الذي انتشر بسبب قلة المحاصيل وعجز الناس عن دفع الخراج المقرر فكان هذا السبب ما دفع تلك القبائل للخروج على السلطة.

فضلاً عن ذلك كثيراً ما كانت تحدث خصومات وحرب ما بين القبائل في بلاد الصعيد وغيرها من المناطق الاخرى وكانت تلك الحروب تحدث ما بين هذه القبائل لأسباب متعددة منها محاولة السيطرة على الارض او المحاصيل ومنها بسبب الزعامة والحصول على المشيخة ومنها الموقف من السلطة الحاكمة كما مر سابقاً ، ومنها يكون بسبب السلطة الحاكمة التي تستعين بقبيله ضد قبيلة أخرى.

وقد اشارت المصادر التاريخية الى عديد من هذه الصدامات منها ما حدث في سنة (٨٥١هـ/١٤٤٧م)، إذ حدث انقسام داخل قبيلة هوارة التي تعد من اكبر القبائل الموجودة في بلاد الصعيد المصري، وسبب الخلاف هو التنافس على زعامة القبيلة ومشيخة العرب الذي ادى الى نشوب قتالاً كبيراً لم يتوقف إلا بعد أن تدخلت السلطة المملوكية واوقفت ذلك النزاع، إذ ارسلت قوات كبيرة تمكنت من خلالها أن تجبرهم على وقف القتال الدائر[٤٣].

وفي سنة (٨٧٢هـ/١٤٦٢م) ثارت قبيلة هوارة على الكاشف [٤٤] وحاول رجال قبيلة هوارة قتل هذا الكاشف غير انه فر مما تسبب في قتل عدد من اتباعه والمماليك وسيطر على المنطقة

مما دفع الكاشف بطلب المساعدة من القاهرة التي لبت الطلب وبعثت قوة عسكرية تمكنت من إنهاء تلك الثورة، وقد استمرت تلك القوة حتى سنة(٨٧٣هـ/ ١٤٦٩م) ، ويذكر أن تلك الحملة قامت بها السلطة المملوكية تخللها العديد من اعمال البطش والقتل والسلب والنهب والأسر والسبي لتلك القبائل الصعيدية مما تسبب بحالة من الامتعاض والرفض واعلانهم الخروج مرة أخرى ضد السلطة المملوكية تم خلالها قطع الطريق وأعمال نهب بكل ما وجد للسلطة المملوكية من أموال مما كان له الأثر السيئ على حالة البلاد الاقتصادية[٤٥].

وقت جددت الثورة مرة أخرى ضد الكاشف في الوجه القبلي من قبل قبيلة هوارة في بلاد الصعيد وذلك في سنة (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) تزعمها شيخ العرب يونس بن عمر الهواري حدثت خلالها معارك عدة بينهم قتل فيها عدد كبير من المماليك على يد قبيلة هوارة مما دفع السلطان الاشرف قايتباي (٨٧٣ – ٩٠١هـ/١٤٦٨ – ١٤٩٦م) على ارسال حملة عسكرية كبيرة لتأديبهم ومحاوله القبض على شيخ العرب يونس بن عمر الهواري غير ان الحملة لم تتمكن من القبض على شيخ العرب يونس بن عمر الهواري، إذ تمكن من الفرار إلى ارض النوبة مما دفع بالقوة العسكرية بمطاردته في النوبة، وفعلاً تمكنت من القبض عليه، إذ قتل وأرسال رأسه الى القاهرة وعلقت على باب زويلة [٤٦] ليكون عبرة للغير وهذا الامر كان شائع في العهد المملوكي.

لم تكف هذه القبائل الموجودة في صعيد مصر عن الخروج ضد السلطة على الرغم من كل مظاهر العنف والقسوة التي مارستها السلطات المملوكية ضدهم، ففي سنة (٨٩٢هـ/١٤٨٧م) ثار العرب من قبيلة الاحامدة في بلاد الصعيد فقطعوا الطرق وتعرضوا للقوافل التجارية التي كانت تمر من تلك المناطق مما دفع السلطات المملوكية بان تجرد حملة عسكرية قوية ضدهم تمكنت من الحاق الهزيمة بهم وقتل عدداً كبيراً منهم مع نهبهم اموالهم وسبي نسائهم واولادهم وارسالهم الى القاهرة فعاد الهدوء إلى الصعيد وان كان موقتاً[٤٧].

اما في الوجه القبلي فقد استمرت حركات العصيان والعنف وعدم الاستكانة للسلطة المملوكية فكان كلما سنحت للقبائل العربية الفرصة للخروج ضد السلطة الحاكمة كانت لا تفوت الفرصة ففي سنه(٧٩٨هـ/١٣٩٦م) خرجت ثورة جديدة من قبل القبائل العربية ضد السلطة المملوكية وقد تزعم هذه الثورة قبيلة عرب الأحامدة ضد المماليك ونائبهم في الوجه القبلي وقد امتدت ثورتهم الى اسوان حيث قتلوا نائب السلطنة فيها [٤٨].

وكما في المرات السابقة خرجت قوة كبيرة تمكنت من اخمادها وهكذا استمر الحال بين كر وفر بينهم ففي سنة(٨٠١هـ/١٤٠١م) تمكنت مجموعه من العربان من قتل والي اسوان المملوكي والفرار[٤٩].

وفي سنة (٨٢١هـ/ ١٣٩٩م) ثار العرب في كثير من مناطق الصعيد والوجه القبلي وغيرها مما دفع السلطان المؤيد شيخ ان يرسل عده حملات عسكرية لتأديبها وفي مقدمتها قبيلة هوارة بالصعيد، إذ عملت الحملة العسكرية على النهب والسلب والقتل ، ورغم كل تلك القسوة لم تحقق النتائج المرجوة في نشر الهدوء في الصعيد فما ان تخرج العساكر حتى تعود الثورة مرة أخرى على السلطة [٥٠].

ففي سنه(٨٢٢هـ/١٤١٩م) ثار العرب مرة أخرى في الوجه القبلي وقد تزعمت تلك الثورات عرب هوارة وحدث بينهم قتال كبير وخسائر بين الطرفين المملوكي وقبيلة هوارة وحلفائها من القبائل الاخرى حتى قدر حجم الخسائر بثلاثة الالف قتيل بين الطرفين برغم النصر المملوكي الا انه كان اشبه بالهزيمة لكثرة الخسائر، وقد دفعت تلك الخسائر بالمماليك بالانتقام الوحشي من تلك القبائل لاسيما قبيلة هوارة، إذ انتقموا منها شر انتقام من قتل وسلب ونهب لكل ما وجد في ديارهم من خيل وجمال ومتاع وغير ذلك [٥١].

والملاحظ ان هذه الحملة كانت من القوة بحيث لم تخرج بلاد الصعيد وقبائلها بحركة عصيان او تمرد وثورة ضد السلطة المملوكية لمدة طويلة، غير ان الامر انعكس في غير تلك المنطقة فنجد نشاط وتمرد ضد السلطة المملوكية ينتشر بمناطق البحيرة والشرقية والغربية وهذا ما سنتحدث عنه.

خامساً: ثورات القبائل العربية في البحيرة والشرقية والغربية ضد الدولة الجركسية.

شكلت البحيرة والشرقية والغربية عامل عبئ على السلطة المملوكية بفعل الثورات والحركات العدائية التي قامت بها ضد السلطة مما تطلب الجهد والمال والوقت للحد منها أو القضاء عليها وكانت في نهاية المطاف عاملاً من العوامل التي ساهمت في اسقاط السلطة المملوكية في مصر وبلاد الشام، ففي البحيرة كانت حركة القبائل ضد السلطة المملوكية لا تتوقف ففي سنه(٧٨٢هـ/١٣٨٠م) ثارت القبائل العربية وهذه المرة في البحيرة وكانت بزعامة شيخ العرب بدر بن سلام ، الذي خرج بقوة كبيرة من العرب قاربت الخمسة الاف مقاتل هاجم بها على مدينة دمنهور وتمكن من دخولها فعمل على السلب والنهب للممتلكات وللمماليك وغيرهم وقتل ما وجد من حامية مملوكية بالمدينة [٥٢].

ونتيجة لهذه الاعمال التي قام بها شيخ العرب بدر بن سلام جردت السلطات المملوكية حملة عسكرية كبيرة ضده في هذه المناطق تمكنت من الحاق الهزيمة بقوات شيخ العرب بدر بن سلام واحاطت به من جميع الجهات مما اسفر عن وقوع قتال عنيف بينهم كان نتيجته انتصار

المماليك الذين أمعنوا بالقتل والسلب والنهب والسبي للنساء والاولاد، فتم نهب لكل ما وجد في المنطقة من الاغنام والخيول والجمال والاسلحة ، وامام تلك الهزيمة الكبيرة فر شيخ العرب بدر بن سلام بعد ان ترك مدينه دمنهور في حال خراب كبير بسبب هذه الحرب وهو ما دفع السلطات المملوكية من تبني اعمار المدينة وتعويض الناس لكسبهم واعادة الحياة للمدينة مرة أخرى(٥٣).

بعد تلك الواقعة بعث شيخ العرب بدر بن سلام يطلب الامان والدخول في طاعة السلطان المنصور علي بن شعبان بن حسين (٧٧٨_ ٧٨٣هـ/١٣٧٦_١٣٨١م)، فارسل اليه السلطان الامان فهدأت البلاد ولو لمدة مؤقتة (٥٤) لان شيخ العرب بدر بن سلام لم يتمكن من نسيان تلك الهزيمة وطمح بالثأر من المماليك لذا تنصل عن العهد وكتاب الامان الممنوح له وأعلن الثورة مرة أخرى، لكن تلك المرة بقوة وعدد اكبر في الوجه البحري وتمكن من هزيمه قوة المماليك التي كانت موجوده في الوجه البحري مما دفع المماليك الى ارسال قوه عسكرية كبيرة سنة (٧٨٢هـ/١٣٨٠م) وعندما وصلت الى شيخ العرب بدر بن سلام قوة تلك الحملة وايقن عدم التمكن من مواجهتها طلب الصلح والعفو مرة ثانية من السلطان غير ان ذلك الطلب تم رفضه فما كان منه الا الهروب باتجاه برقة، وعندها استسلام عدد من المشايخ الذين كانوا معه فلم ينفعهم الاستسلام، إذ تم قتل عدد منهم وارسال رؤوسهم الى القاهرة وعلقت على باب زويلة وتم اعاده مدينه دمنهور وبناء سورها من اجل التصدي لمخاطر ثورة تلك القبائل وعصيانهم مرة أخرى في المستقبل (٥٥).

لم يهدأ الوضع كثيراً وخاصة ان شيخ العرب بدر بن سلام لم يتم القضاء عليه ، فسرعان ما عاد شيخ العرب بن سلام لإعلان الثورة وحركة العصيان ضد المماليك في سنه(٧٨٥هـ/١٣٨٣م)، لكن هذه المرة كان خروجه باتفاق مع الخليفة المتوكل على الله ابي عبد الله محمد العباسي، إذ اتفق معه على انهاء الحكم المملوكي لمصر وبلاد الشام من خلال قتل السلطان برقوق(٥٦) الذي انهى دولة المماليك البحرية وآخر سلاطينها حاجي بن شعبان، لكي تظهر بعدها دولة المماليك الثانية الجراكسة التي حكمت أيضاً مصر وبلاد الشام(٥٧).

فكان فرصة بأن تثور القبائل على هذه الدولة الفتية فثارت الثورات في مختلف مناطق القبائل لمنع المماليك هناك من نصرة السلطان في القاهرة لذا كان عليه أي شيخ العرب بن سلام ان يثور في تلك المناطق ولاسيما البحيرة(٥٨).

غير ان تلك المحاولة فشلت في تحقيق اهدافها لان السلطان برقوق كشف المخطط فادرك الامور سريعا فألقى القبض على الخليفة المتوكل وسجنه ثم عزله عن الخلافة وعين بدلا

عنه ، امام شيخ العرب بدر بن سلام فقد قتل على يد احد اتباعه وذلك اواخر سنه(٧٨٩هـ/١٣٨٧م) فكان ذلك بمثابة الجائزة للسلطان المملوكي بدون مقابل [٥٩].

ومن ابرز تلك الثورات التي قامت بها القبائل العربية في تلك النواحي ما ذكرته المصادر التاريخية عن خروج قبيلة لبيد وهم من قبائل السنبس في البحيرة سنة(٨٦٠هـ/١٤٥٦م) وقد عمل أفراد هذه القبيلة على قطع الطرق وهاجموا المراعي ووصل بهم الحال بأن وصلت قوتهم وهجماتهم الى بر الجيزة وكانوا في تلك الثورة يقومون بنهب المال والمتاع والخيول وكل ما يصادفهم من ممتلكات الدولة والأمراء والمماليك والمتنفذين منهم [٦٠].

وفي سنة (٨٦٥هـ/١٤٦١م) شنت العديد من الغارات على بلاد البحيرة فنهبوا المحاصيل والغلال مما اضطرت السلطات المملوكية الى ارسال عدة حملات من اجل القضاء عليها لكن هذه الحملات لم تنجح بالقضاء على حالة الفوضى في البحيرة لتستمر هذه الحالة الى سنة (٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، ففي تلك السنة جردت السلطات المملوكية حملة عسكرية ضدهم استمرت الى اوائل سنة (٨٧٥هـ/١٤٧٠م) تم خلالها انهاء هذه الثورات التي قامت بها قبيلة لبيد ومن أزرها[٦١].

وعلى الرغم من ذلك ثارت قبيلة لبيد مرة أخرى سنة (٨٨١هـ/١٤٧٦م) فخرجت حملة قوية تمكنت من ردعهم وانهاء تمردهم ضد الدولة المملوكية [٦٢] وفي سنه(٨٩١هـ/١٤٨٦م) ظهرت حركة جديدة من قبل عرب البحيرة لكن هذه المرة كانت بأسلوب منظم اكثر وبقوة اكبر قادها شيخ العرب محمد الجويلي، ضد سياسة كاشف البحيرة وقد تمكن شيخ العرب الجويلي من جمع عدد من القبائل تحت لوائه مستغل حالة الحرب بين الدولة المملوكية والعثمانية والخطر العثماني الذي هدد مدينة حلب[٦٣].

فلما وصلت للمماليك خبر خروج شيخ العرب محمد الجويلي ادركت مدى الخطورة التي تمثلها على الجبهة الداخلية لمصر في هذا الوقت الذي تتربص بهم الدولة العثمانية فكان لابد لها ان تعالج هذه المسائل بصورة عاجلة لأنها مثلت تهديداً داخلياً قوياً في مدة كانت الدولة المملوكية تعاني من خطراً خارجياً لذا اسرعت بأرسال حملة عسكرية قوية لضرب تلك الثورة والقضاء عليها، غير ان تلك الحملة لم تحقق مبتغاها لقوة شيخ العرب محمد الجويلي وتنظيمه الجيد، لتستمر حركة الجويلي وتمرده ضد الدولة المملوكية، ففي سنة (٩٠٤هـ/١٤٩٩م) ثار شيخ العرب محمد جويلي مرة أخرى ضد السلطة المملوكية وكانت هذه المرة حركته اقوى فنهب بلاد البحيرة وعمل على اخذ الاموال التي كانت موجودة بها واقسم بانه لن يسمح للسلطة المملوكية جباية الخراج لتلك السنة، فشكل هذا تهديدا خطيراً لقوة الدولة مما دفع السلطان ناصر محمد بن

قايتباي ان يعمل على تجريد حملة عسكرية كبيرة الى منطقة البحيرة لإخماد ثورة الجويلي وخطرها، غير ان تلك الحملة لم تنجح لتوقيتها الغير جيد وذلك لان هذه الفترة كان النيل في حالة فيضان وهذا ما كان يمثل خطرا على القوة الخارجة، إذ لا تستطيع القتال في ارض رطبة يغطيها الماء مما دفع العديد من الامراء الى رفض الخروج بالحملة حتى يكون هناك وقت مناسب لها وخاصة ان هذه الظروف شكلت عامل قوة للقبائل ولاسيما اثناء المطاردة [٦٤].

وفي سنة (٩٠٤هـ/١٤٩٩م) ثارت قبيلة عزالة على كاشف البحيرة مما اضطره نتيجة قوة الحملة وعدم وجود عسكر كافي يستطيع بهم المواجهة أن يفرمن البحيرة إلى القاهرة ويطلب المساعدة حتى يتمكن من صدهم ودحرهم، ومما زاد من خطورة هذه الحركة التي قامت بها قبيلة عزالة انهم لم يكتفوا بالبحيرة فقط بل استمرت في التقدم وملاحقة الكاشف حتى وصلوا الى حدود حلوان بالقرب من القاهرة ، مما دفع السلطة المملوكية بالعمل السريع لمواجهة ذلك الخطر فأرسل قوة كبيرة من اجل صد تقدمهم باتجاه القاهرة غير أن تلك الحملة فشلت في مهمتها وتعرضت لهزيمة كبيرة من قبل قبيلة عزالة التي قتلت عدد كبير منهم وسلبت أموالهم ثم عادت لترتد الى منطقة البحيرة محملة بالنصر والغنائم بعد ان ادركت ان توغلها الى داخل القاهرة يشكل خطراً عليهم [٦٥].

وذكرت المصادر التاريخية عندما وصلت اخبار تلك الثورة او التمرد والعصيان الى اهالي القاهرة وانها اقتربت من القاهرة اضطرب الناس كثيراً خوفاً من تلك الحملة وخرج العديد للمواجهة مع المماليك من اجل التصدى للخطر فلم تتمكن من تحقيق اي شيء لأنها وصلت متأخرة بعد ان هزمت الحملة المملوكية وعودة قبيلة عزالة الى ديارهم بعد ان حققوا مرادهم من السلب والنهب وقتل كل من اعترض طريقهم من المماليك [٦٦].

وامام تلك الاحداث الجسيمة التي مرت بها القاهرة وجرأة قبيلة عزالة على التوغل والقتل والنهب كان لابد من عمل يعيد الهيبة للسلطة المملوكية ويكون عامل حاسم في تأديب تلك القبيلة ومن والاها من القبائل لذا توجه الأمير طومان باي الدواداري بحملة عسكرية من اجل تحقيق ذلك التأديب لقبيلة عزالة وتوجه بقواته الى الوجه القبلي فما ان سمعت القبائل بتلك الحملة حتى فرت دون قتال فتتبعهم الأمير طومان باي الدواداري بالقتل والسلب والنهب لديارهم[٦٧].

وفي سنة (٩١٨هـ/١٥١٢م) عادت قبائل البحيرة للخروج مرة أخرى بثورة كبيرة ، وكانت تمثل خطرا كبيراً هددت الدولة لأنها تزامنت مع الحملة العسكرية التي قامت بها الدولة الصفوية على مدينة البيرة فاصبح هناك تهديد داخلي وتهديد خارجي كان على المماليك ان يعملوا على التصدي لهذا التهديد الداخلي بسرعة كي يواجهوا الخطر الخارجي وبصوره عاجلة لذا جرد

المماليك حملة عسكرية كبيرة تمكنت من القبض على كبار مشايخ عرب عزالة وقتلهم وتقديمهم ما فكانت ضربة قوية حاسمة لقبيلة عزالة [٦٨].

وقد استمرت قبيلة عزالة تقود حركات التمرد ضد السلطة المملوكية في الجهة الشرقية والغربية حتى بعد وفاة الشيخ الجويلي سنة (٩١٩هـ/١٥١٤م) في فتره كانت الدولة المملوكية في حاله من الحرج والضعف .

ففي سنة (٩٢٠هـ/١٥١٤م) ثارت قبيلة عزالة في منطقه البدرشين ضد السلطة المملوكية غير ان الأمير طومان باى الدواداري ألحق هزيمة كبيرة بهم ، وارسل كبار القبيلة اسرى الى القاهرة، إذ امر السلطان الغوري بسجنهم ولم يأمر هذه المرة بقتلهم او التنكيل بهم كما يحدث في السابق [٦٩].

ويبدو ان الاحداث المتسارعة التي تمر بها الدولة المملوكية هي التي دفعت السلطان الغوري الى عدم القتل والتنكيل بهم خشيت ان تحدث الاضطرابات في جميع مناطق الصعيد والوجهين القبلي والبحري في وقت كانت الدولة المملوكية في حاله من الصراع الخارجي مع الدولة العثمانية.

ولم تختلف في المناطق الشرقية والغربية من بلاد مصر عن مناطق البحيرة والوجه القبلي وصعيد مصر عامةً من اثارة الفتن والخروج ضد الدولة المملوكية وكان من ابرز تلك القبائل التي كانت في الناحية الشرقية من بلاد مصر قبائل جذام ومنهم بني سعد وبني حارم وكذلك بني وائل ، وقد ظهرت حركاتهم وعصيانهم في عهد الاشرف قايتباي ، لذا جردت السلطة المملوكية حملات عسكرية ضدهم منها سنه(٨٧٤هـ/١٤٦٩م) تمكنت من خلالها من اسر الكثير و قتل العديد منهم، إذ قطعت رؤوسهم وحملت الى القاهرة وعلقت على باب زويلة [٧٠]

ويبدو ان سياسة قطع الرؤوس وتعليقها امر اعتاد عليه سلاطين المماليك كنوع من الدعاية لهم يبرز من خلالها قوة الحكم وتكون عامل ردع لمن يروم الخروج على السلطة وهي بمثابة رسالة انه كل من يخرج على الدولة المملوكية يكون مصيره هنا غير انه لم تجدي نفعاً على ما يبدو ولاسيما بالنسبة للقبائل العربية التي اعتادت ان تخرج على السلطة.

ففي سنة (٨٧٥هـ/١٤٧٠م) خرجت قبائل الشرقية بثورة تزعمها شيخ العرب عيسى بن بقر غير ان تلك الحركة فشلت وتمكن المماليك من القبض على عيسى بن بقر وسجنه وعزله عن المشيخة [٧١].

وعلى الرغم من ذلك لم تستقر الشرقية، إذ ثارت قبائل بني سعد وبني حارم ضد الدولة المملوكية فجردت الدولة حملة قوية هزمتهم وقتلت عدد من مشايخهم ، مما دفع الى عصيان

وثورة اكبر من قبل القبائل فمارست سياسة النهب والقتل والتعرض للقرى والمناطق القريبة منهم[٧٢] ووصل الامر ان قامت قبيلة بني حارم بفرض مبالغ مالية على كل دار وحانوت وطاحونة ومعصرة في الشرقية وهددوا الناس بالقتل ان لم يفعلوا [٧٣].

ولم تتمكن الدولة المملوكة من تحقيق شيء لوقف ذلك ، بل في سنة (٨٧٦هـ/١٤٧٠م) عادت الثورة بشكل اكبر في المنطقة الشرقية بحيث ان غاراتهم وصلت الى منطقة الحسينية القريبة من القاهرة فنهبوا المحال والدكاكين وقطعوا طريق المسافرين واستمر ذلك الى اخر النهار ثم عادوا مما اجبر السلطان الاشرف قايتباي بتجريد حملة عسكرية كبيرة تم خلالها مطاردتهم وقتل من وجد منهم [٧٤].

والملاحظ ان هذه الحركات والثورات التي كان تقوم بها القبائل العربية بدأت تصل الى مركز السلطنة أي القاهرة وبصورة متكررة وهذا ما يعكس الاضطراب والضعف الذي اخذ يدب في كيان الدولة المملوكية .

وعلى الرغم من كل ذلك التمثيل والبطش الذي قامت به الدولة المملوكية تجاه تلك القبائل العربية الا انها استمرت بالخروج والتمرد ضد السلطة ففي سنه(٨٩٠هـ/١٥٠٢م) خرجت قبائل الشرقية بثورة كبيرة جداً خطرة تمثل ذلك الخطر بأن اجتمعت القبائل الشرقية مع الغربية وعرب الصعيد بثورة واحدة ضد السلطة المملوكية ، مما عدت من اخطر الثورات التي خرجت ضد المماليك فما كان من السلطان الغوري الا ان يخرج بموقف صلب قوي أتجاه هذه الثورة التي سيطرت على العديد من المناطق وامتد خطرها الى مركز السلطة [٧٥] لذا جرد لها حملة قوية ضمت العديد من الأمراء لمواجهة تلك الثورة وتمكنت من اخمادها والتنكيل بالقبائل الموجودة فيها ومن اجل مواصلة الضغط فقد قام المماليك بقتل عدد من كبار المشايخ في تلك القبائل بعد عمليات السلب والنهب التي حدثت وكان ذلك في سنه(٩٠٩هـ/١٥٠٣م) كل ذلك من اجل ردعهم وتخويفهم في حال فكرت القيام بثورة [٧٦].

الا ان تلك المشاكل وحركات العصيان لم تتوقف في الشرقية واستمرت ضد سلطات المملوكية ففي سنه(٩١١هـ/١٥٠٥م) حدث خلاف بين الشيخ بيبرس بن بقر وبين شيخ العرب العايد مما تسبب ذلك الى حدوث العديد من المشاكل والصدامات بينهم قتل بسببها العديد ولم تستطع القوة المملوكية التي كانت موجودة من انهاء القتال مما اضطرت الى طلب المساعدة من المركز فوصلت قوة فرضت الامن وتمكنت من انهاء ذلك الصراع بعد ازدياد حالات النهب والقتل وتعرض الناس للسلب والنهب من تلك الحرب [٧٧].

وفي سنة (٩١٣هـ/١٥٠٧م) ثارت قبائل المنطقة الشرقية من جديد وهاجموا الضياع والقرى ونهبوا وسلبوا كل ما وجدوا من مال للمماليك والمحاصيل وقطع الطريق مما دفع السلطة المملوكية بتجريد قوة عسكرية كبيرة نجحت في اخمادها ، غير ان ذلك لم يستمر طويلاً فما ان سمعت القبائل العربية المتواجدة هناك بقتل السلطان قانصوه الغوري حتى استغلت ذلك الحدث بالخروج بثورة في المنطقة الشرقية وعملت على السلب والنهب وقد تزعم هذه الحركة اولاد شيخ العرب احمد ابن بقر[٧٨] ويذكر ان تلك الثورات استمرت حتى نهاية الدولة المملوكية رغم كل والوسائل التي استخدمتها الدولة ضد هذه القبائل ،عاشت بلاد الصعيد والشرقية والغربية والوجه القبلي والبحري وغيرها حياة غير مستقرة حتى نهاية الدولة المملوكية في سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م) فلم تكن تمر سنه الا كان هناك ثورة او حركة عصيان من قبل القبائل العربية ضد الدولة المملوكية.

سادساً: نتائج ثورات القبائل العربية على الدولة المملوكية .

شكلت تلك الثورات والفتن وحركات العصيان التي قامت بها القبائل العربية في بلاد مصر في مناطق الشرقية او الوجه القبلي او الوجه البحري وعامة مناطق الصعيد عامل ضغط بالنسبة للدولة المملوكية على الصعيد الداخلي وتركت اثار سلبية كبيرة على السلطة المملوكية من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى العمرانية، وكانت في نهاية المطاف من الأسباب التي عجلت وفي نهاية الدولة المملوكية على يد الدولة العثمانية سنه (٩٢٣هـ/١٥١٧م).

ومن ابرز تلك المشاكل التي ظهرت نتيجة لذلك الصراع الطويل بين الدولة المملوكية والقبائل العربية ، تدمير كبير للأراضي الزراعية والمحاصيل في القرى والارياف التي تعرضت الى السلب والنهب مما ترك اثراً كبيراً عليها [٧٩] تمثلت بالخسائر المالية وتحول الاراضي الزراعية الى اراضاً بور[٨٠] بعد هجرة العديد من الفلاحين لتلك المناطق نتيجة ذلك الصراع الطويل ومن صور تأثير هذه الحرب الطويلة على الزراعة، كان في كل حرب وثورة تحدث يتم من خلالها الاستيلاء على المحصول من القرى [٨١] وبذلك تدهور حال الريف وقل الانتاج الزراعي وانخفضت نسبة المردود المالي من الخراج وتسبب ذلك في ارتفاع الاسعار[٨٢].

واذا تكلمنا على الجانب التجاري فأنه لم يكن بأحسن حال مما كانت عليه الزراعة فقد اصاب التجارة والحركة التجارية الكثير من التدهور ايضا نتيجة تلك الحملات العسكرية حيث تنقطع طرق النقل ويتعرض التجار وما يحملونه من البضائع للسرقة والنهب وامام ذلك الكساد

التجاري تفرض السلطات المملوكية من اجل التعويض ضرائب جديدة وتعمل على احتكار البضائع فتحدث الخسائر الكبيرة [٨٣].

كما كان لها دور في تحويل طرق التجارة او تركها مما يساهم في قلت الوارد من البضائع والسلع لكساد التجارة لخوف التجار من السير بتجارتهم خلال تلك الديار لتعرضهم للهجمات في تلك المناطق مما تقل فيه الموارد المالية للدولة المملوكية من جراء ذلك [٨٤].

ونتيجة لتلك الحركات قلت واردات الدولة بشكل كبير وساهمت في رفع الاسعار لمختلف السلع والبضائع وهذا ما يدفع السلطة المملوكية من اجل تعويض الخسائر وتجهيز الجيش بالاعتماد على فرض الضرائب وغيرها كما ذكرنا سابقاً [٨٥].

كم كان لهذه الحركات والثورات تأثيراً كبيراً على سير قوافل الحجاج التي كانت تمر بتلك المناطق، إذ تتعرض الى السلب والنهب والهجوم على القوافل لاسيما تلك التي كان يقودها الامراء كما يحدث في حالة من الخوف والتردد وعدم الذهاب للحج في مواسم عدة نتيجة لذلك كما حدث في سنة (٩٠٨هـ/١٥٠٢م) وكذلك سنة (٩٠٩هـ/١٥٠٣م) وكذلك سنه (٩١١هـ/١٥٠٥م)، إذ عزف كثير من الناس عن الحج نتيجة تلك الاحداث وخوفهم من المرور بديار تلك القبائل[٨٦].

وفي النهاية لابد من الإشارة ان هذه الاحداث ادت الى نزيف حاد في مقدرات الدولة المملوكية لاسيما المالية منها والعسكرية نتيجة الجهد والمال الكثير الذي تطلبه مواجهة وانهاء تلك الثورات مما كلف خزينة الدولة الكثير من المال واستنفذ الكثير من قوتها لمواجهة تلك الحركات والذي كان له تأثيراً كبيرا على مجريات الاحداث الخارجية لاسيما بعد ظهور الخطر العثماني هذا الخطر الذي سبب في نهاية المطاف اسقاط الدولة المملوكية .

فقد جاء حكام ضعاف تزامن حكمهم مع ظهور خطر الدولة العثمانية التي برزت كقوة كبيرة أخذت بالتوسع شرقاً وغرباً، لتتمكن في نهاية المطاف من اسقاط الدولة المملوكية الجركسية بعد قتل السلطان أبي النصر قانصوه الغوري الذي تولى الحكم سنة (٩٠٦هـ/١٥٠٠م) في معركة مرج دابق [٨٧] شمالي حلب سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م) ودخول السلطان العثماني سليم الأول بلاد الشام ، ثم قتل السلطان طومان باي ابن شقيقة قانصوه الغوري ، الذي تولى الحكم بعد مقتل الغوري إذ قتل على يد العثمانيين في معركة الريدانية قرب القاهرة سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م) ودخول العثمانيين القاهرة وأسقطوا دولة المماليك الجراكسة[٨٨].

الخاتمة

- تركت الثورات والفتن اثار سلبية كبيرة على المجتمع المصري في العهد المملوكي لاسيما العهد الجركسي منه تمثل تأثيرها على النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والزراعية التي كان لها تأثير كبير و مباشر على حياة الناس العامة والخاصة منهم.
- استمرت الثورات التي قامت بها القبائل العربية ضد الدولة المملوكية رغم كل مظاهر القسوة والعنف والبطش التي مارستها الدولة المملوكية من خلال تجريد العديد من الحملات العسكرية التي رافقتها اعمال السلب والنهب و القتل لرجالها ومشايخها الكبار.
- اسهمت تلك الثورات التي قام بها العرب وبصورة واضحة في اضعاف الدولة المملوكية اقتصادياً وعسكرياً وكذلك عمرانياً وكانت من الاسباب التي ساهمت في اسقاط الدولة المملوكية في نهاية الامر.
- تميزت السياسة التي مارستها السلطة المملوكية بالبطش والقسوة ضد الثورات الا في حالات قليلة استخدمت سياسة المهادنة والموادعة اتجاه القبائل مما اسهم في استمرار حركات العصيان والتمرد من قبل تلك القبائل لمدة طويلة .
- لقد شكلت تلك الثورات وحركات العصيان التي قامت بها القبائل العربية في بلاد مصر عامل ضغط للدولة المملوكية على الصعيد الداخلي وتركت آثاراً سلبية كبيرة على السلطة المملوكية من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى العمرانية، وكانت في نهاية المطاف من الأسباب التي عجلت في نهاية الدولة المملوكية على يد الدولة العثمانية سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م).
- ان هذه الاحداث ادت الى نزيف حاد في مقدرات الدولة المملوكية لاسيما المالية منها والعسكرية نتيجة الجهد والمال الكثير الذي تطلبه مواجهة وانهاء تلك الثورات مما كلف خزينة الدولة الكثير من المال واستنفاذ الكثير من قوتها لمواجهة تلك الحركات والذي كان له تأثيراً كبيرا على مجريات الاحداث الخارجية لاسيما بعد الظهور الخطر العثماني.
- ظهرت نتيجة لذلك الصراع الطويل بين الدولة المملوكية والقبائل العربية، تدميراً كبيراً للأراضي الزراعية والمحاصيل في القرى والارياف التي تعرضت الى السلب والنهب وتحول الاراضي الزراعية الى اراضي بور بعد هجرة العديد من الفلاحين لتلك المناطق نتيجة ذلك الصراع.

هوامش البحث:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

(١) ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،(بيروت:١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ٣٥٢/٥. ابن منظور، محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب ، ط١ ، دار صادر (بيروت:١٩٩٧)، ١٢٤/١٠، ٤٩٣.

(٢) شبارو ، عصام محمد، السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري ، (المماليك ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠م-١٥١٧م) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، (بيروت : ١٩٩٤م)، ص٧. قاسم ، قاسم عبده، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي ، ط١ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، (القاهرة : ١٩٩٨م)،ص٢٦. طقوش ، محمد سهيل، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) ، ط١، دار النفائس ، (بيروت : ١٩٩٧م)، ص٦١.

(٣) السيد ، عبداللطيف عبدالهادي، دولة المماليك ، المكتب الجامعي الحديث ، (الاسكندرية : ٢٠١٠م)، ص١٤٩، ١٥٠. الشلي ، فيصل، بلاد الشام في ظل الدولة المملوكية الثانية ،((دولة الجراكسة البرجية)) ١٣٨١-١٥١٧م، ط١ ، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ، (دمشق : ٢٠٠٨م)، ص٢٥، ٣١. شبارو، عصام، السلاطين في المشرق، ص٩٣؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ المماليك، ص٣٢٥-٣٢٧.

(٤) المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١م)،البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: عبد المجيد عابدين، عالم الكتب، ط١ (القاهرة، ١٩٦١)، ص٧٧، ٧٨.

(٥) المقريزي، البيان والإعراب، ص٩١،٩٠،٧٨،٧٧.

(٦) ابن عبد الحكم، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم(ت ٢٥٧هـ/٨٨٨م)، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية،(مصر: ١٤١٥هـ)، ص ٧٦ وما بعدها. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال،(بيروت: ١٩٨٨م)، ص: ٢١٠ وما بعدها.

(٧) عاشور ، سعيد عبدالفتاح ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط١، دار النهضة المصرية،(القاهرة، ١٩٦٢)، ص٣ ،١٠ ،١١.

(٨) العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٢٥ هـ/ ١٤٢١م)،عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب (القاهرة، ١٩٩٢)،٤/ ٧٤.

(٩) حسن ، عصمت محمد ، جوانب من الحياة الاجتماعية لمصر من خلال كتاب الجبرتي، هيئة الكتاب المصرية، مكتبة الاسراء، (القاهرة:٢٠٠٣م)، ص١١٠.

(١٠) حسن ، عصمت محمد ، جوانب من الحياة الاجتماعية، ص ١١١ .

(١١) صبح الأعشى في صناعة الأنشا، تعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ١٩٨٧)،٤/٦٩.

(١٢) **أيبك التركماني**: هو المعز أيبك بن عبد الله أول سلاطين دولة المماليك في مصر حكم من (٦٤٨-٦٥٥هـ/ ١٢٥٠-١٢٥٧م)، كان مملوكاً للسلطان نجم الدين أيوب واعتقه وجعله مقدماً للعساكر، تزوج شجرة الدر وأصبح سلطاناً وأراد أن يتزوج من ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فحقدت عليه ودبرت قتله. ينظر: ينظر: بيبرس المنصوري (ت٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة (٧٠٢هـ) ، ط١، تحقيق : عبدالحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، (القاهرة : ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٩. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء ، ط٩ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت : ١٤١٣هـ)،٢٣/ ١٩٨. الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، (بيروت : ٢٠٠٠م)، ٩/ ٢٦٣- ٢٦٦.

(١٣) المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٥٧)،١/٣٨٦.

(١٤) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقريزية)، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، د. ت)،.١/١٩٠. المقريزي، البيان والاعراب، ص ٢٧،٦١.

(١٥) **هو الناصر يوسف** بن عبد العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي ولد سنة (٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م)، تولى مملكة حلب بعد وفاة والده سنة (٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م)، اتصف بالحكمة والكرم، قتل على يد هولاكو سنة (٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م). ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٣/ ٣٦.

(١٦) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٩٦م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب (القاهرة، ١٩٦٣)، ٧/ ١٢.المقريزي، السلوك ،١/٣٨٦.

(١٧) المقريزي، السلوك،١/٣٨٧.

(١٨) **بيبرس**: هو أعظم المماليك وأشدهم بأساً، كان عبدا مملوكاً اشتراه السلطان الصالح أيوب، واثبت جدارة في الحرب فارتقى في المناصب، وكان له دور كبير في موقعة عين جالوت فوعده قطز بنيابة حلب غير أن الأخير لم يوف بوعده ، فحقد عليه بيبرس ودبر قتله وتولى السلطنة فكان بحق مؤسس الدولة المملوكية وحكم من سنة (٦٥٨- ٦٧٦هـ/ ١٢٥٨-١٢٧٧م). ينظر: بيبرس المنصوري ، مختار الأخبار ، ص١٢. ابن شاكر الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، فوات الوفيات ، تحقيق : علي محمد بن يعوض الله و عادل أحمد عبدالموجود ، ط١، دار الكتب العلمية ، (بيروت : ٢٠٠٠م)، ١/ ٢٥١. القرماني، أحمد يوسف (ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، تحقيق : أحمد حطيط وفهمي سعد ، ط١،عالم الكتب، (بيروت : ١٩٩٢م) .٢/٢٧٠. السيد، عبد اللطيف، دولة المماليك، ص٤٨، ٤٩.

(١٩) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين ابو العباس احمد (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨م)، التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة (مصر، ١٣١٢هـ)، ص٢٤٣.

(٢٠) العيني، عقد الجمان ،١/٢٣١. المقريزي، السلوك ،١/٤٨١،٤٧٠.

(٢١) عاشور، سعيد عبد الفتاح، العصر المماليكي في مصر والشام، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، (القاهرة، ١٩٩٤)، ص٣١٥.

(٢٢) **المنصور قلاوون:** هو سيف الدين قلاوون الصالحي الألفي يعد من أهم سلاطين المماليك بعد الظاهر بيبرس، جيء به إلى مصر منذ صغره وبيع للملك الصالح أيوب أما تسميته بالألفي فقد جاءت من حادثة شرائه بألف دينار، توفي سنة (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م). ينظر: أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، التبر المسبوك في تواريخ الملوك، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب ، ط١، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة : ١٩٩٥م)، ص٨٣، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٤/ ٢٥١.

(٢٣) النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع كوستاتسوماس (القاهرة، د. ت)،١٦٧/٢١. المقريزي، السلوك،٧٥١/١

(٢٤)القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري (القاهرة، ١٩٥٩)، ص ٢٢١، ٢٢٢. المقريزي، البيان والإعراب، ص٣٢، ١٢٨.

(٢٥) العيني، عقد الجمان، ١٧٣/٤– ١٧٦. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ١٥١/٨.

(٢٦) السلوك، ٩٢٢/١.

(٢٧) الملك الناصر: هو السلطان الناصر محمد بن السلطان المنصور قلاوون ، ولد بالقاهرة سنة (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) في قلعة الجبل ولي السلطنة وعمره تسع سنين ثم خلع وأعيد ثانيةً ولم يزل قائماً على سرير ملكه حتى مرض ومات على فراشه في ليلة الخميس العشرين من ذي الحجة سنة (٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) ودفن داخل القبة التي بين القصرين ، وكان عهده أطول عهود سلاطين المماليك إذ حكم ثلاثاً وأربعين سنة. ينظر: ابن سباط ، حمزة بن أحمد بن عمر (ت ٩٢٦هـ/١٩٢٠م)، تاريخ ابن سباط ، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري ، ط١، مطبعة جروس برس ،(لبنان : ١٩٩٣م) .، ٢ / ٦٦٧ . القرماني ، أحمد، أخبار الدول، ٢ / ٢٧٦ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد (١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبدالقادر الأرناووط و محمود الأرناووط ، ط١ ، دار ابن كثير ، (بيروت : ١٩٩٢م).، ٨ / ٢٣٣.

(٢٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ٣٦/٩.المقريزي، السلوك، ١٢٩/٢.

(٢٩) المقريزي، السلوك، ٣٣٥/٢، ٧٤٤.

(٣٠) المقريزي، السلوك،٧٧٤/٢، ٧٥٠، ٧٤٩.

(٣١) المقريزي، السلوك، ٨٤٣/٢، ٨٣٩.

(٣٢) المقريزي، السلوك،٨٥٦/٢، ٨٥٥.

(٣٣) ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد (ت ٨٠٩ هـ/ ١٤١٠م)، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (١٥٢٢)، ص٣٩٥، ٣٩٤. المقريزي، السلوك ، ٣/ ٩٠٨– ٩١٠.

(٣٤) المقريزي، السلوك، ٢/ ٩١٦. ابن أياس، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٤م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢ (القاهرة، ١٩٨٢)، ج١، ق١، ص٥٥١.

(٣٥) ابن دقماق، الجوهر الثمين ، ص٤٥٢، ٤٥٣.

(٣٦) ابن دقماق، الجوهر الثمين ، ص٣٩٥،٣٩٤.

(٣٧) **منطاش** أمير مملوكي اسمه تمربغا خدم السلطان برقوق فقدمه على جميع الأمراء وولاه العديد من الأعمال غير أنه خرج على السلطان برقوق بتحريض بعض الأمراء وشارك مع أمير العرب نعير بحرب ضده مما دفع السلطان برقوق إلى محالفة نعير واتفق معه سراً فقبض على منطاش وقتله وبعث برأسه إليه ، وذلك سنة (٧٩٧هـ/١٣٩٤م) . ينظر: ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي(ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، ط٢ ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد، (الهند : ١٩٧٢م)،٦/ ١٢٨،١٢٩، ابن إياس، بدائع الزهور،١/٤٥٦ – ٤٦٠ .

(٣٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،١١ / ٣٥٢، ٣٥٤. المقريزي ، السلوك ، ٣/ ٦٦٢،٦٦٤.

(٣٩) المقريزي ، السلوك ، ٣/ ٨٠٩، ٨١٠.

(٤٠) الصيرفي، علي بن داؤد الجواهري (ت ٩٠٠ هـ/ ١٤٩٤م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب (د. م، ١٩٧٠)،١/ ٣٨٧.

(٤١) ابن أياس، بدائع الزهور، ٢ /٣٨ – ٣٩.

(٤٢) المقريزي، السلوك، ٤/٦٣٠. ابن أياس، بدائع الزهور،٢ /٨٦.

(٤٣) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ/ ١٤٩٦م)،التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية (القاهرة، د. ت)، ص١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٩.

(٤٤) الكاشف هو الذي يشرف على احوال الارض والجسور في تلك المنطقه اذا كان يسمى بالكاشف. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى،٤/٦٥،٢٥، ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل (ت ٨٧٣ هـ/ ١٤٦٨م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، المطبعة الجمهورية (باريس، ١٨٩٤م)، ص ١٢٩، ١٣٠.

(٤٥) الصيرفي، علي بن داؤد الجواهري (ت ٩٠٠ هـ/ ١٤٩٤م)،أنباء الهصر بأبناء العصر، تحقيق: حسن حبشي، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٧٠)ص ٤٤،٤٥. ابن اياس، بدائع الزهور،ج١، ق ١ / ٤٥٣، ٤٥٥.

(٤٦) ابن اياس، بدائع الزهو،٢/ ١٤٣، ١٤٧.

(٤٧) ابن اياس، بدائع الزهور ٣/ ٢٤٠ .

(٤٨) المقريزي ، السلوك، ٣/ ٨٥٨ – ٨٦٥.

(٤٩) المقريزي، السلوك، ٣/ ٩١٦.

(٥٠) ابن أياس، بدائع الزهور، ٢ /٣٨ – ٣٩.

(٥١) المقريزي، السلوك، ٤/ ٤٨٠، ٤٨٣.

(٥٢) ابن دقماق، الجوهر الثمين ، ص ٤٥٢،٥٤٣.المقريزي، السلوك ، ٣/٣٩٠، ٣٩٤.

(٥٣) المقريزي ، السلوك ، ٣/ ٣٩٣ . ابن أياس، بدائع الزهور، ١/ ٢٦٨.

(٥٤) المقريزي، السلوك ، ٤٦٥/١.

(٥٥) ابن دقماق، الجوهر الثمين ، ص ٤٥٤. المقريزي، السلوك ، ٣ / ٤٠٢ .

(٥٦) **برقوق:** هو السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق بن أنص، جلبه فخر الدين عثمان من بلاد الروم بعد أن كان قد بيع من بلاد الجركس، وقدم به إلى القاهرة ، خدم عدة امراء مماليك ثم قدمه الملك الأشرف شعبان وجعله من مماليكه فخدم ولدي السلطان علي وحاجي وصار من الأمراء، وحكم بعد خلعه السلطان حاجي آخر سلاطين المماليك البحرية وقد استمر حكمه حتى وفاته سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) وسمي برقوق لجحوظ في عينيه. ينظر: العيني ، بدر الدين محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد(ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة من خلال كتاب عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق : إيمان عمر شكري ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة : ٢٠٠٢م) ، ص ٤٦-٤٩، ٧٦ وما بعدها؛ ابن إياس ، بدائع الزهور ، ٣١٢/١؛ القرماني، أخبار الدول، ٢/ ٢٩٣.

(٥٧) ابن العراقي ، أبو زرعة أحمد بن عبدالرحيم بن الحسين (ت ٨٢٦هـ/١٤٢٢م)، الذيل على العبر في خبر من غبر ، تحقيق : صالح مهدي عباس ، ط١ ، مؤسسة الرسالة، (بيروت : ١٩٨٩م)، ٢/ ٥٣٢؛ السخاوي، الذيل التام على دول الإسلام ، تحقيق: حسن إسماعيل مروة،ط١، مكتبة دار العربية للنشر والتوزيع / دار ابن العماد للنشر والتوزيع،(الكويت/بيروت:١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص٣٢٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢/ ٢٨٥؛ القرماني، أخبار الدول، ٢/ ٢٩٠، ٢٩١.

(٥٨) المقريزي، السلوك ، ٣ /٤٩٤ ، ٤٩٦.

(٥٩) ابن دقماق، الجوهر الثمين ، ص٤٥٨. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،١١ / ٢٢٤، ٢٢٥.

(٦٠) ابن اياس، بدائع الزهور، ٢٣٢/٢ .

(٦١) الصيرفي، أنباء الهصر ، ص١٥٣،٢٤، ٢١٢ . ابن اياس، بدائع الزهور، ٣/ ٥١،٥٧.

(٦٢) ابن اياس ، بدائع الزهور، ١١٩/٣.

(٦٣) ابن اياس، بدائع الزهور، ٢٢٩/٣ ، ٢٣٠ .

(٦٤) ابن اياس ، بدائع الزهور، ٣٩٨/٣ . عاشور، سعيد ، المجتمع المصري ، ص٥٣ .

(٦٥) ابن اياس، بدائع الزهور، ٣ / ٤١٤، ٤١٥ .

(٦٦) ابن اياس ، بدائع الزهور، ٣ / ٤١٥ .

(٦٧) ابن اياس، بدائع الزهور ، ٣/ ٤١٥ ٤١٦ .

(٦٨) ابن اياس، بدائع الزهور، ٤ / ٢٦٠ ، ٣٥٣، ٣٥٧ ، ٣٥٩ .

(٦٩) ابن اياس، بدائع الزهور، ٣٧١/٤، ٣٧٢.

(٧٠) ابن شاهين، عبد الباسط ابن خليل (٩٢٠هـ/١٥١٤م)، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم ، مخطوطه دار الكتب المصرية، رقم المخطوطة(١٥٨٤)، ١٨،١٩/٤. الصيرفي، أنباء الهصر ،ص١١٩ .

(٧١) الصيرفي، أنباء الهصر ، ص٢٣٣، ٢٣٤ . ابن اياس، بدائع الزهور، ٦٠/٣.

(٧٢) ابن اياس، بدائع الزهور، ٣/٦٠-٦٢ . الصيرفي، أنباء الهصر ، ص٣٢٦، ٣٢٧ .

(٧٣) الصيرفي، أنباء الهصر ، ص٣٢٧، ٣٢٨ .

(٧٤) ابن إياس ، بدائع الزهور، ٣/٧١_٧٢. الصيرفي، أنباء الهصر ، ص٤٤٣.

(٧٥) ابن اياس، بدائع الزهور، ٢ / ١٠٢ .

(٧٦) ابن اياس، بدائع الزهور، ٤ / ٥٥ ، ٦٢ .

(٧٧) ابن اياس ، بدائع الزهور، ٤/٩٣-١٠٤.

(٧٨) ابن اياس، بدائع الزهور ،٤ / ٣٢٤ ،٣٢٥.

(٧٩) المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: د. كرم حلمي فرحات، عين للدراسات ولبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١ (الهرم، ٢٠٠٧)، ص٤٤ ٤٥ .

(٨٠) المقريزي ، السلوك ،٢ / ٧٧٠. ابن اياس، بدائع الزهور، ٣/ ٢٦٥، ٣٩٨ ، ٤١٥ ، عاشور، سعيد عبد الفتاح، المجتمع المصري ،ص ٥٠ ، ٥١.

(٨١) ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب (القاهرة، ١٩٩٠)،٣/ ٦٥٤ .

(٨٢) الاسدي ، محمد بن محمد بن خليل (ت بعد ٨٥٥ هـ/١٤٥٠م)، التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار، تحقيق : عبد القادر احمد طليمات، ط١، (القاهرة:١٩٦٨م)، ص ٩٣، ٩٤.

(٨٣) المقريزي ، السلوك، ٤/ ٧٩١، ٧٩٢. ابن اياس، بدائع الزهور، ٥/٩٠. لبيب ، صبحي ، سياسه مصر التجارية في عصري الايوبيين والمماليك، مقاله بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلدين (٢٨،٢٩)، (القاهرة:١٩٨١/١٩٨٢م)، ص١٤٣ .

(٨٤) الملباري، الشيخ زين الدين المعبدى، تحفه المجاهدين في بعض احوال البرتكاليين، (لشبونة:١٨٩٧م)، ٢/٣٨،٣٦.

(٨٥) ابن اياس ، بدائع الزهور، ٣/ ٢٤٢ ٢٧٩. لبيب، صبحي، التجار كارميه والتجارة مصر في العصور الوسطى، مقالة بمجله الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلدالرابع ، العدد الثاني،(القاهرة:١٩٥٢)، ص٣٥ .

(٨٦) ابن حبيب ، الحسن ابن عمر (ت٧٧٩ هـ/١٣٧٧م)، تذكرة النبيه في ايام المنصور وبنيه :تحقيق محمد محمد امين ،(القاهرة:١٩٨٦)،٣/ ٣٣٤. ابن اياس ، بدائع الزهور، ٤ / ٩٣،٦٩،٦٢،٥٠.

(٨٧) **مرج دابق:** قرية تقع شمال حلب فيها مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان إذ غزوا الصائفة ضد الروم . ينظر : البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبدالحق (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط١ ، دار الجيل ،(بيروت : ١٩٩٢م)، ٢/ ٥٠٣.

(٨٨) المكي ، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك الشافعي (ت ١١١١هـ/١١٦٩م)،سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، (بيروت:

١٤١٩هـ/١٩٩٨م)،٦١/٤ . القرماني ، أخبار الدول، ٢/ ٣٢٤– ٣٢٧. شبارو، عصام، السلاطين في المشرق، ص ١١٤– ١٢١.